المركز العربي للمعلومات
L|R2639
3028

الأنوار
AL ANWAR
١ تشرين الأول ٢٠٠٢

«شوهوا الالتزام الفني بالانتماء العقائدي»

عارف الريس «عاشق الحب»: المرأة هي المحور المقدس!

خمس وسبعون سنة، أبحر في متاهاتها وطياتها، بحثا دؤوبا عن كنه الحقيقة، في محاكاة فنية تشكيلية واسعة، اتحدا تجسدا وحضورا في المكان والزمان، في نسب روحية شفيفة.

من ربوع مدينة عالية الجبلية، ولادة وبداية، الى مدرسة عينطورة، فشخروب ميخائيل نعيمة، فارتحال الى السنغال، باريس، فلورنسا، الولايات المتحدة الاميركية، المكسيك، المملكة العربية السعودية، فلبنان أخرا وأخيرا، ليقوم بدور المرشد الروحي الفني لسيمبوزيوم عالية الفني منذ العام ١٩٩٩ حتى الآن، والذي كان من رواد خلق فكرته وتنفيذها عمليا الى جانب آخرين.

معارض، مشاريع، رحلات، طموحات، محطات، استراحات، أحلام، وعودة انطلاقات. ليستقر أخيرا في مدينة عاليه، باسم فني كبير، تجاوز المكان، الى حيث للفنون التشكيلية حضور دائم.

جريء، متطور، متبدل، مجتهد، مجرب، ومغامر. الا أنه متمسك بتراثه العربي، محافظ على هويته الشرقية الاصلية.

عارف الريس، ناسك الفن التشكيلي رسما ونحتا، نقصده في دارته الفنية، نحاوره في صومعته، ونعود بالآتي:

● من انت في البعد الفني زمانا ومكانا؟

- هذا السؤال مهم، فالفنان يقف امام الواقع، محاولا فهمه، ويجد نفسه امام سر لوجود بكامله، فيطرح على نفسه السؤال التالي: كيف يمكن فهم هذا السر؟ ويأتي الجواب: بالعمل المستمر، لتفتيق اسرار الحواس، المتفاعلة ابعد من العقل، او بالاحرى، مولدة الفكر، الذي يلصقنا بالعقل. فمن هنا يأتي التنوع في تعبيري الفني، رافضا القوالب الجامدة، التي تضع الفنان على قواعد اكاديمية، مفرغة من الحس المباشر، وما يقترحه على صاحبه، ليبلغ اجواء لونية وتأليفية هندسة وجمالا.

من هنا تأتي الغرابة، لان المجتمعات بنيت على اسس تقليدية، تتابع من عصر الى عصر، وما الفرق الا ما يطبع نبع الفن بطابع صاحبه من تصورات وخيال.

انسانيا، انا انتمي الى الحضارة العربية، انما دراستي كانت في الغرب طوال ربع قرن، وكان علي ان اتفهم لولب الفكر الغربي، الذي دفع به الى النهضة العارمة، التي نعيشها بكل ما حققته وتقدمه لنا من تسهيلات عملية حياتية، وايضا عالمية. بمعنى سرعة الانتقال، وصناعة دقيقة، والتي استوعبت ايضا عددا كبيرا من النحاتين الفنانين المهندسين، واستوعبت ايضا الذوق الجمالي لصناعة الالوان، والبناء المعاصر، الذي شهدنا في ١١ ايلول كارثة حضارية، بمستوى الدقة الصناعية الحديثة.

● ما علاقة الفن بالجنون؟

- الجنون هو كل ما يخرج على المتداول بين الناس، والمعروف من التقاليد والاهتمامات في الحياة الدنيا.

التعبيريون المستقلون

● ما هويتك الفنية؟ وما هي المؤثرات التي أدت بك الى التحول؟

الهوية الفنية، بحكم طبيعة حريتي التامة، في كيفية معالجة الموضوع، واختيار الموضوع، انني من مجموعة التعبيريين المستقلين، وهذه التعبيرية المستقلة، لا تستقر على أسلوب واحد، ولا على مواضيع معينة من الصنعة، لانها نتيجة تفاعل حضاري، وصراع فكري، لا يتوقف عن التحديات، التي تواجه الانسان، ويحاول بكل قواه (اقول أنا) الانتصار على نفسه، لان الواقع تغيرت مواده، ولكن لم يتغير الانسان في جوهره وفي معاناته الأساسية، لانه يعيش كالظل، في قوة خارقة، اوجدته من حب واوجاع وعلامة استفهام حول المستقبل.

● كيف تقيم معهد الفنون في الجامعة اللبنانية، كونك ساهمت في انشائه مع نقولا نمار وباقة من الفنانين سنة ١٩٦٦ للميلاد؟

- اهم ما في الأكاديمية، انها وجدت مع فنانين لبنانيين وعرب، وتطورت الى أن اصبحت

الفنان عارف الريس في محترفه

في جميع مناطق لبنان، تقدم لأصحاب المواهب الأولية، التي يحتاج اليها كل فنان، ليجرأ ان يتعرف على مواهبه الشخصية، وهذا التعرف هو في الممارسة اليومية، تقنيا وفنيا بين الناشئين والاساتذة، لذلك يفرح قلبي عندما افكر بأن هنالك ست اكاديميات في جميع مناطق لبنان، والشباب اللبناني موهوب يجد من يحاوره ويهديه الى الافضل. وفي لبنان اليوم ما يزيد عن ١٥٠٠ فنان متخرج، منهم ٥٠٠ فنان أعضاء في جمعية الفنانين للرسم والنحت.

● الموسيقى، التمثيل الأيمائي. ما علاقة كل منهما في مهمة القرار للعمل الفني لديك؟

- اكتشاف الذات لا يمكن ان يتم بالتخيل والتفكير، كل العوامل تتطلب التطبيق التقني بالممارسة، فالممارسة، هي التي تصحح المسار، لانها تأتي بموضوع النقد لمكونات، لا يمكن الإفصاح عنها، الا بممارستها، ففي مرحلة معينة في باريس تضاربت في تفكيري المذاهب الحديثة في الفن التشكيلي، الى درجة انني شعرت بضيق، وتساءلت ايمكن بأنني لست بهذا الفنان التشكيلي. فذهب الى مدرسة الاستاذ الايمائي الكبير «إتيان ديو» وابتدأت بالدراسة، ولكن هذا الاستاذ عندما استغرب ان يكون عنده طالب عربي، سألني ما الدافع الذي أوصلك الى المسرح الايمائي، فاجبته انني رسام تشكيلي وشعرت بضيق فني. اما الفن الإيمائي فلا يتطلب الكلمة، بل الحركة والتأليف الجسدي، فاخترت عندها المسرح الايمائي. قال لي اني اريد أن اطلع على أعمالك الفنية والنحتية، وهكذا زارني واطلع على اعمالي، وقال لي: ستستمر بالفن التشكيلي والنحتي، لانه لو كان عندي ربع ما عندك، لما وقفت على خشبة المسرح امام جمهور كافر بالقيم، يرميك بالبيض والبندورة، عندما لا يرتوي من الموضوع الذي تمثله. عد الى محترفك، ولكنك ستتابع حضورك الى محترفي لتقوم برياضة جسدية ونفسية، ولا تشعر بالوحدة في بلد مثل باريس، وكل العالم مشغول بنفسه، وهكذا كان. فكان هذا الاستاذ أهم أساتذتي في اوروبا.

● ما هو مفهوم الالتزام الفني عند عارف الريس الفنان المستقل؟

- للالتزام آفاق عديدة، انا لا ارى فنانا، رساما، شاعرا، اديبا، يمكنه ان يخضع نفسه لعميله. ان لم يكن ملتزما بالثوابت طبعا، في مرحلة راهنة. لقد شوهوا الالتزام، بالانتماء العقائدي، انما هذا التزام مرحلي، لموضوع محدود في مسيرة الوجود. وانهارت القلعة.

مقياس العولمة

● أتلمس انك انفلت من الإقليمية الفنية الى العالمية الفنية. ماذا تحقق من هذه الرؤيا العارفية؟

- اريد ان اقول بأن الفنانين والشعراء والموسيقيين كانوا دوما مقياسا مجسدا للعولمة السياسية التي يعتبرونها اليوم كروبة للفساد الاجتماعي. لذلك فانتماء الفنان عالمي، لانه متشابه مع تفاعلات كل البشر، عندما يعودون لمحاسبة انفسهم، ومراجعة أفكارهم، وهذا هو سر الوجود، الذي ضمن للبقاء استمراره.

● الواقعية واللاوقعية، الشخصي واللاشخصي. الترميز الثوري والوطني. البناء التشكيلي. مؤثرات تركت بصماتها في أعمالك. فماذا تعني لك؟

- دراسة الفن مبنية على قواعد فنية، والقواعد مرتبطة بكل مزايا الفن، لان الجسد البشري اساسا، عنوان الخلق الفني، بكل ما فيها من جماليات ومقاييس، ولكن عوالم الإنسان الحضارية، تبقى هي المسارات التي يحتازها المبدع، لتقرير كيفيات التعبير. بمعنى خلق العلاقة بين الشكل المنظور والبصيرة التي تخزن تصوراتها، ارتكازا على هذا الواقع، فالأحلام التي يمر بها الإنسان عندما يغيب عن اليقظة. من هنا اريد ان اقول شيئا، ان شعرنا العربي يذهب بنا الى ابعد الابعاد، اذا ما فهمناه ببعده البشري، وليس ببعده اللغوي، اي القواعدي والى آخره. فالغرب اكتشف اشياء كثيرة متأثرا بالفن الاسلامي والفن الافريقي البدائي، وأخذ منهما جواز سفر لفكره وابداعه وفنه، وهو يدرك هذه الثوابت لتكسر الحواجز التي يلفونها في الأكاديميات بنوع من الخجل والخوف.

خصوصية توحيدية

● ما أوجه الترابط والانفصال في منحوتاتك الفنية؟

- في المنحوتات، المادة هي التي تحدد الانفصال، ولكن كلها مرتبطة بهندسة جمالية بنائية، تدخلها التقاسيم التوحيدية، لان في النحت تتوحد كل الاجزاء، بجسد واحد، يرتفع فوق الارض، والارتفاع فوق الارض يعطي خاصية توحيدية، ومن هذا المنطلق نفذنا سمبوزيوم عاليه في رأس الجبل.

● منحوتاتك، غالبا ما تجسد صوفية ايمانية قوية. كيف توائم بين الموقف الديني، والصنمية التاريخية، ونتاجك الفني؟

- اولا الدين هو سلم الارتقاء الى الإيمان، فكل دين من الاديان، مدرسة لتحرير الانسان، من عبودية المادة الصلفة، ولكن كل الناس، لا يمكنهم ان يرتقوا السلم الى أعلا درجاته، ولا حتى من يسهل عليهم التسلق، لان كل انسان يجوع ويعطش، وعند الجوع والعطش، يعود الى الأرض السفلى، ليقتات ويرتوي ويتمدد، ليرتاح جسده، فالانسان مقيد بحدود الجسد. وما يتسامى انطلاقا من الجسد، يبقى رهن الطاقات الجسدية لتوفيره.

● ما نقاط الالتقاء بين الخصائص التجريدية للنحت الغربي المعاصر، والنحت العربي الإسلامي؟

- الخصائص، ان النحت الإسلامي ادخل الروحانية في فكرة التأليف والتجميل والزخرفة، فاصبح الجدار في المسجد قطعة فنية رائعة الالوان، والتأليف، واصبحت القبلة المقدسة جسدا للأحلام التي تتبخر منها معالم الجمال والتعبير عنها بالكلمة بالتجويد في الصلاة، وحتى في ممارسة الحب.

النحت العربي الاسلامي اقتصر على العمارة والأواني، اما الفن الغربي المعاصر وفن مشتقات الصناعة المعقدة، وارادة العقل البشري في التعبير عن اجوائه، كمدخل للإبداع والتمييز الفردي، وعلى كل بدا هذا مع الميكانيكيات والتحكم بالمواد الطبيعية من الإسمنت الى الفولاذ ومشتقاته والسيارات والطائرات من انتاج النحاتين الذين يكرسون مواهبهم لابتداع الاشكال الجديدة، وألوانها واحجامها. نحن يقينا على مستوى «البردعة للجمل».

● كيف تفسر سلطة المكان، وحضوره في العمل الفني؟ وما تأثير عالية، في اعمالك كموقع جغرافي؟

المركز العربي للمعلو

- بعد ربع قرن من التجوال في العالم، وكدت اختار ايطاليا لو لم اشعر بانني عندما افكر أعود بالقريحة الى اللغة العربية، واود ان احاول بلغتي، ان اسمع اللهجات التي رافقتني من طفولتي، حتى اكتشاف اجواء اوروبا الفنية الغربية، واظن ان ما يختاره الإنسان لرحلة الشباب وحب الإطلاع، يظهر على شاشة ذاكرته عالم الطفولة والارض التي حملته طفلا، ويتذكر الطرقات الصغيرة التي كان يسلكها الى المدرسة، والى الحقول في ايام الفرص، زد على ذلك بان كل الناس تتكلم لغته في بلده، فلا تشعر بالغربة، ولبنان اجمل من اي بلد في العالم بطبيعته وجماله ومناخه.

● بين الفن والأنسنة والحياة، ما هي فلسفتك المستنيرة توحيداً في الحياة والفن والحب؟

- انني من عشاق الحب، فالحب هو لقاء يومي مع النور، وحزن مع فراق هذا النور، كل يوم مساء، ولن انسى بأننا أبناء الحب، حب الوالدين، هو الدافع الى تحمل معاناة الولادة والتربية، وتحمل المسؤوليات العائلية، وهذا الوضع وضع شمولي لكل البشر، ومن الطبيعي ان تكون المرأة، بالنسبة الي، هي المحور المقدس، التي تحمل زهرتها وتثمر. «اسعد شيء لدي، عندما ارى امرأة حاملا، تمر امامي».

● شخصيتك مزيج بين الجد والهزل. وتمتلك مفاتيح الفنون. اقتران فريد ومميز. كيف تفسر لنا ذلك؟

- الجد بالعمل المتواصل، واما الهزل واللطافة المسرحية فهما دلائل تعبيرية، عن معرفة مقدار العجز، فيشعر الفنان بأنه اضعف من ان يصنع ما تقدمه زهرة في تكوينها، او محارة او ايضاً شعرة، الذي يتطاول ويرغم على نفسه احتراماً للآخرين.

السند الروحي؟

- ما هو الدور الذي تلعبه المرأة، تأثيراً شاملاً في كينونة انتاجك الفني؟

- في الحقيقة انه كان لزوجتي دوراً بارزاً في اعمالي، وهي السند الروحي الذي تقدمه الأنوثة والأمومة بحكم طبيعة العلاقة، فهذه المؤسسة الأسرية، كأنها المسكن الامين لكل ما يتحرك في فكر الواحد مع الآخر، وتشعر بتكامل يغنيك عن المباهج، ويدعوك للمزيد من الاهتمام الى عالمك الشخصي، فيتأمن الإنتاج، اما ابنتي فهي الزهرة التي تعطيني معنى للاستمرار الوجودي المقدس.

● عارف الريس، يعمل، يحلم، يغزل، يرسم، ينحت. الى أين تود الوصول؟

- سؤالك لطيف جداً، لانك تعطيني صفة المقرر لقيادة هذا الطريق، ولكن تنسى بأن هذا كل ما اردت توضيحه، يقودني الى النهاية.

● بماذا تختتم هذا اللقاء؟

- احب ان اقول لك انني اعطي اهمية كبرى لكل وسائل الاعلام والنشر، والتي تفتح للفنان قناة تواصل مع الجمهور، والتي كذلك تواكب مراحله، لتبلغ الناس، بما لا يخطر على بال، وهو قابع في معالجة مواضيعه الفنية غير المطلوبة من أحد. لذلك اشعر بالفرح عندما التقي مع الإعلاميين، لانني اشعر بأنهم يقومون في تكريس فنهم أمام النعم الواسعة. وهم ايضا في صومعة الفن والمعرفة العامة لتنقل للعالم خصائص المجتمعات.

حسين احمد سليم